

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من الظواهر التي تنبه لها البحث الحديث . وما كان بين دراسات القرآن ودراسات النقد والبلاغة العربية من صلات وتأثير متبادل . ومما لفت الباحثين إلى هذه الناحية ملاحظة في كتب النقد والبلاغة - وعلى الأخص ما ألف منها في القرون الوسطى الهجرية^(١) - من تلاقى تيارين كبيرين ينبع أحدهما من ظواهر البلاغة القرآنية ، والآخر من خواص الجودة الأدبية في الشعر والنثر .

وقد وجه قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية شطراً كبيراً من عنايته إلى هذه الدراسة^(٢) . ولفت إليها أنظار طلابه وخريجيه . فتناول بعضهم نواحي منها في رسائلهم لشهاداتهم العليا^(٣) . وذهب بعضهم ينقب عن مخطوطات المكتبة القرآنية لينشر منها ما يلقى ضوءاً على هذه الناحية . ورأينا أن نشارك في هذا الجهد بنشر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، لمؤلفين تباينت وجهات نظرهم . واختلفت منازعهم : فأحدهم أديب لغوي محدث . وثانيهم نحوي متكلم معتزلي . وثالثهم سني شافعي .

(١) يبدو هذا جلياً « في كتاب الصناعتين » لأبي هلال العسكري (القرن الرابع) . وكتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني ، و« سر الفصاحة » لابن ستان الخفاجي (القرن الخامس) . و« المثل السائر » لفضياء الدين بن الأثير (القرن السابع) . وكتاب الطراز ليحيى بن حمزة العلوي (القرن الثامن) .

(٢) من هذا ، البحث الذي قدمه م . خلف أنه المؤتمر الدولي الحادي والعشرين للمشرقين في باريس سنة ١٩٤٨ م ، وموضوعه : « نظرية عبد القاهر الجرجاني في (أسرار البلاغة) » ، والبحث الذي قدمه المؤتمر الدولي الثاني والعشرين باستانبول سنة ١٩٥١ م وعنوانه : « الدراسات القرآنية كمال في تطور النقد العربي » وقد نشر هذا البحث في مجلة كلية الآداب العدد السادس سنة ١٩٥٣ م .

(٣) قدم م . زغلول رسالة لجامعة الإسكندرية منح من أجلها درجة الماجستير في الآداب ، مع مرتبة الشرف الأولى موضوعها : « أثر دراسات القرآن في تطور النقد العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ونشرته دار المعارف سنة ١٩٥٥ .

أما الأديب اللغوي المحدث فهو أبو سليمان حَمْدُ (١) بن محمد بن إبراهيم الخطَّاب (٢) البُستِيُّ . ولد في رجب عام ٥٣٩ هـ . وأقام ببُست (٣) وتوفي فيها وإليها نسب .

نشأ محباً للعلم ، فاجتهد لتحصيله من كل سبيل . وطوف من أجله في البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً للتزود من العلماء الأجلاء ؛ رحل إلى العراق وتلقى العلوم بالبصرة وبغداد ، وذهب إلى الحجاز وأقام بمكة ردهاً من الزمان . وعاد إلى خراسان ، واستقر به المقام في نيسابور عامين أو أكثر ؛ وصنف بها بعض كتبه ، ثم خرج إلى ما وراء النهر ، وانتهت به الرحلة إلى مدينة بست . فأقام بقية حياته وفيها توفي .

وكان رجلاً عفاً صالحاً كريماً ، يتجر فيها يملك من الحلال ، وينفق من سعة على العلماء من إخوانه ومريديه .

وقد أخذ العلم عن البارزين من علماء عصره . ورحل في طلب الحديث على أئمة . واجتهد فيه حتى صار إماماً .

وتعلم الفقه على أبي بكر القفال الشاشي وأبي علي بن أبي هريرة وغيرهما من فقهاء الشافعية . ومن شيوخه في اللغة والأدب نخبة من علماء بغداد في عصره نذكر منهم إسماعيل الصفار . وأبى عمر الزاهد . وأبى العباس الأصم . وأحمد بن سليمان النجار . وأبى عمرو السماك وغيرهم . وروى عنه خلق منهم . أبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسي البُستِيُّ . وأبو بكر محمد بن الحسن المقرئ . وأبو الحسن علي بن الحسن الفقيه السجزي (٤) وأبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله النسوي . وأبو حامد الإسفراييني والحاكم النيسابوري وغيرهم .

(١) يذكر بعض من ترجم له باسم أحمد . ومنهم ياقوت والسماعى . وذكر أنه مثل عن اسمه أحمد ، أو حمد فقال : سميت بمحمد وكتب الناس أحمد .

(٢) نسبة إلى زيد بن الخطاب أخى عمر بن الخطاب . (٣) وهي مدينة من بلاد كابل .

(٤) وهو راوية النسخة التي بين أيدينا « بيان إعجاز القرآن » .

وكانت مكانته في العلم مرموقة ، إذ أثنى عليه معاصروه . ولهج بفضل
الشعراء . قال السمعاني ، « إمام فاضل كبير الشأن جليل القدر » . وقال
فيه الثعالبي شعراً ، وكان من بين الذين أشادوا به وذكروه ومجدهوه وقالوا فيه
الشعر المحافظ . أبو طاهر السلفي الأصبهاني نزيل الإسكندرية وفقهها
وعلمها ومحدثها في القرن السادس الهجري . وقد شرح له مقدمة كتابه
« معالم السنن » ، ونوه بعلمه فيه أكثر من مرة .

وتوفي الخطابي بعد حياة حافلة بالعلم والأدب عام ٣٨٨ هـ ^(١) ومن إنتاجه
شعر حسن يروى بعضه الثعالبي في يتيتمته ، وينقل منه ياقوت وابن العماد
والسبكي وابن خلكان وغيرهم ممن ترجموا له .

وأما كتبه فكثيرة يغلب عليها الحديث والفقه . ونذكر فيما يلي أسماء
ما جاء منها في كتب التراجم التي رجعنا إليها وهي : معالم السنن ^(٢) ، وغريب
الحديث ^(٣) ، وتفسير أسماء الرب عز وجل ، أو شرح أسماء الله الحسنى ^(٤) ،
وشرح الأدعية الماثورة ، وشرح البخاري ، وكتاب العزلة . أو الاعتصام ^(٥) ،
وإصلاح غلط المحدثين ^(٦) ، وكتاب القروسي ، وكتاب أعلام الحديث ^(٧) ،
وكتاب الغنية عن الكلام [وأهله] ، وكتاب شرح دعوات لأبي خزيمة ، وبيان

(١) وذكر أنه توفي عام ٣٨٦ هـ ، وتجد ترجمته في : إرشاد الأريب لياقوت ط مرجليوث
٨١/٢ - ٨٣ ، ط الرفاعي ٢٤٦/٤ ، والأنساب للسمعاني ٢٠٢ ، وبغية الوعاة للسيوطي ٢٣٩ ،
وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢٢٣/٢ / ٢٢٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٢٧/٣ ، وطبقات الشافعية
للسبكي ٢١٨/٢ - ٢٢٢ ، وعيون التاريخ لابن شاکر (التيمورية رقم ١٣٨٦) ١٢٧/١٢ ،
وابن خلكان ط محي الدين ١٥٣/١ - ١٥٥ ، وتزانة الأدب للبندادي ط الصاوي (١٩٣٤) ٣٠١/٤ -
٣١١ .

(٢) وهو شرح لكتاب سنن أبي داود ، ومنه نسخة خطية بدار الكتب ، ونسخ أخرى بمكاتيب
ديدار الهند والجزائر (راجع بروكلمان ١٦١/١) .

(٣) وقد استدرك فيه علي أبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة في
كتائيهما (غريب الحديث) ومنه نسخة بمكتبة عائش أفندي باستانبول .

(٤) كما يسمى أحياناً في بعض المراجع . (٥) ومنه نسخة بالاسكوريال .

(٦) ومنه نسخة بالآستانة .

(٧) ويسميه السمعاني : « أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري » ومنه نسخة بالموصل .

إعجاز القرآن^(١) . وكتاب معالم التنزيل .
وأما المعتزلي فهو : أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني^(٢) . الذي ولد
سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة بمدينة سامرا أو ببغداد . ونشأ نشأة
فقيهة ، واشتغل بطلب العلم . واستعان على كسب قوته بالوراقة . وأخذ
اللغة والنحو على جماعة من شيوخ العلم مثل أبي بكر بن دُرَيْد وأبي بكر السَّراج
والزُّجاج . وتخرج في الكلام على يد أستاذه المعتزلي ابن الإخشيد .

ويذكر أصحاب التراجم أن الرُّماني كان معجباً للعلم ، واسع الاطلاع .
متقناً للأدب وعلوم اللغة والنحو ، لذلك لقب بالنحوي المتكلم شيخ
العربية وصاحب التصانيف . وكان إلى جانب ذلك ميالاً لعلوم المنطق
والفلسفة والنجوم . ويبدو أثر هذه العلوم في تصانيفه وأسلوب تأليفه . وبرع
في علوم القرآن والتفسير وألف فيها ، وكانت له مشاركة في الحياة العامة في
بغداد ، وفي أحداثها السياسية الهامة ، وكان محبوباً مقدراً عند العامة والخاصة .
وتوفي سنة ٣٨٦ هـ بعد حياة طويلة حافلة .

وتظهر مكانته العلمية لنا فيما كتبه عنه معاصره أبو حيان التوحيدي إذ
قرر أنه لم ير مثله قط . علماً بالنحو . وغزارة في الكلام . وبصراً بالمقالات
واستخراجاً للعويص . وإيضاحاً للمشكل . مع تأله وتنزه ودين ويقين
وفصاحة وفكاهة . وعفافة ونظافة . قال عنه ابن سنان : « إنه ذو مكان
مشهور في الأدب » .

وممن اعتمد عليه ونقل عنه من العلماء : ابن رشيقي . وابن سنان ،
وابن أبي الإصبع العدواني المصري والسيوطي . . . وغيرهم . وقد نقلنا في
آخر هذا الكتاب بعض شواهد من تعليقاتهم على كتاباته وإفادتهم منه .
ومن كتبه التي تذكرها المصادر : التفسير الكبير^(٣) . والجامع في علوم

(١) ومنه النسخة التي بين أيدينا ، ونسخة أخرى بليدن بهولندة (ك ذكر بروكلمان في ترجمته) .

(٢) بضم الراء وتشديد الميم نسبة إلى الرمان وبضمه ، أو إلى قصر الرمان . وهو قصر بواسط .

(٣) راجع في كتبه بروكلمان الملحق ١ / ١٧٤ .

القرآن^(١) ، والنكت في إعجاز القرآن ، وألفات القرآن ، وشرح معاني القرآن للزجاج ، وألفات القرآن ، وشرح كتابي المدخل والمقتضب للمبرد ، وكتاب الاشتقاق الكبير ، وشرح كتاب سيبويه ، ونكت سيبويه ، وأغراض كتاب سيبويه ، والمسائل المفردة من كتاب سيبويه ، وشرح مختصر الجرمي ، وكتاب شرح المسائل للأخفش ، وشرح الألف واللام للمازني ، وشرح كتاب الموجز والأصول لابن السراج ، وكتاب التصريف ، وكتاب الهجاء ، وكتاب والإيجاز في النحو ، وكتاب المبتدأ في النحو ، والاشتقاق الصغير والألفاظ المترادفة^(٢) .

وتذكر المصادر أن له ما يقرب من مائة كتاب .
وأما السنن الشافعي فهو أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني الذي عاش في القرن الخامس الهجري ، وتوفي على الراجح عام ٤٧١ هـ .
ولم نعر لعبد القاهر برغم مكانته العلمية إلا على تراجم قصيرة ، وهي تنفق في أنه كان عالماً واسع الثقافة . وأنه كان متكلماً على مذهب الأشعرى ، وفقهياً على مذهب الشافعي . وأنه أخذ النحو على أبي الحسن محمد بن الحسن ابن أخت أبي علي الفارسي المشهور . وبعضها يذكر أنه أخذ الأدب والنقد على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني .
ومن مؤلفات عبد القاهر : المائة في النحو ، ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، والرسالة الشافعية . . . (٣) .

(١) ويسمى أحياناً باسم الجامع الكبير في تفسير القرآن ، ويوجد بدار الكتب المصرية ، (بالتيمورية) تفسير جزء عم .
(٢) طبع هذا الكتاب بمصر . راجع في ترجمته : معجم الأدباء لياقوت الحموي ط مرجليوث ٥ / ٢٨٠ وما بعدها ، وثمرات الذهب لابن العماد ٣ / ١٠٩ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١١ / ١٦ ط العمادة ١٩٣١ م ، والأنساب للسماني ٢٥٨ ، وطبقات النحويين للزبيدي ٥٥ ، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ١ / ١٣٣ ، وذكر المعتزلة للمرتضى ٦٥ ، وبغية الوعاة للسيوطي ٤٤٣ ط الخانجي سنة ١٣٢٦ هـ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان الملحق ١ / ١٧٥ . راجع الفصل الأخير قسم ب .
(٣) راجع في ترجمته : دمية القصر للباخرزي ١٠٨ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٢٦٢ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥ / ١٠٨ ، وبغية الوعاة للسيوطي ٣١٠ ، وثمرات الذهب لابن العماد ٣ / ٣٤٠ ، وبروكلمان ١ / ٢٨٦ - ٢٨٧ ، والملحق ج الترجمة رقم ٢٨٧ ص ٥٠٢ - ٥٠٤ .

تحليل الرسائل الثلاث :

١ - الأولى : كتاب بيان إعجاز القرآن تأليف أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي . رواية أبي الحسن الفقيه السجزي . وقد اعتمدنا في نشرها على مخطوطة مصورة عن دار الكتب ^(١) مكتوبة بخط مغربي واضح به بعض الشكل . ولا يخلو من الأخطاء النحوية أحياناً . وقد كتب على طرته :

كتاب بيان إعجاز القرآن

تأليف أبي سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي رضي الله عنه
رواية أبي الحسن علي بن الحسن الفقيه السجزي رحمه الله
وعليه إجازة تفيد أنه رواية عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن حيان
الفهري عن الشيخ عبد الله الحجري عن الشيخ الفقيه أبي طاهر السلفي
الأصبهاني عن الشيخ عبد الله محمد بن بركات النحوي عن الشيخ أبي
القاسم سعد بن علي الزنجاني عن أبي الحسن السجزي عن المؤلف . وكانت
هذه الإجازة سنة ست وستين وخمسمائة .

وأثبت في ختام النسخة أنه « تم الكتاب بحمد الله وعونه ، صلى الله
على محمد وآله وسلم والحمد لله رب العالمين - أوائل عام ستة وألف عرفنا
الله خيره ووقانا شره » « وأثبت في آخرها أيضاً أنها روجعت وقوبلت على
النسخة الأصلية . وتقع المخطوطة في ٢٣ ورقة . وكل صحيفة مسطرتها ٢١ سطراً
وبالسطرين ١٢ ، ١٤ كلمة .

طباعات الكتاب :

(١) طبعة السيد عبد الله الصديق سنة ١٩٥٣ م - ١٣٧٢ هـ بمطبعة
دار التأليف بالقاهرة - من القطع الصغير في ١٢٥ صفحة .

(١) عن نسخة خطية مغربية من المكتبة الصديقية بطنجة .

وهي عن الأصل الذي رجعنا إليه ، وقد راجعنا هذه الطبعة فتبين لنا بعض الملاحظات التي أبديناها في مواضعها ، وأشرنا إليها في الهوامش برمز « ا » .
وبلاحظ. بصفة عامة أنه يتصرف أحياناً في العبارة بما لا يتطلبه السياق .
وربما لجأ إلى تأويل لا ضرورة له ، وقد اهتم في هوامشه بشرح ما جاء في الرسالة من الأحاديث والأخبار والروايات الدينية .

(ب) طبعة الدكتور عبد العليم عميد القسم العربي في الجامعة الإسلامية بعلي كره (الهند) - مطبعة خليل شرف بيومباي سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م ونشر القسم العربي بجامعة علي كره .

ورجع المحقق في هذه النشرة إلى نسخة ليدن التي أشرنا إليها . والتي أشار إليها بروكلمان ، ولهذا كان لهذه الطبعة أهميتها في طبعتنا الثانية للرسالة ، وبمراجعتها أمكن إعادة قراءة بعض ما التبس من عبارات النسخة الأولى ، وتقويم بعض الألفاظ. بحيث تكون أكثر ملاءمة . غير أننا مع ذلك لاحظنا وجود كثير من الخطأ والتصحيح في هذه الطبعة مما يقلل من شأنها .

فكرة الرسالة ومنهجها :

في هذه الرسالة يقرر الخطابي أن الناس قديماً وحديثاً ذهبوا في الموضوع كل مذهب من القول ولم يصدروا عن رى . ويناقش فكرة الصرفة ، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلية ، ولا يرتضيها شرحاً لأسرار الإعجاز . ثم ينتقل إلى موضوع البلاغة ، ويعيب على القائلين بها اعتمادهم على التقليد وعدم تحقيقهم وقصور كلامهم عن الإقناع . ويعالج هو الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة للكلام المحمود ، ويقرر أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم من هذه حصة ، ومن كل نوع شعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الضخامة والعدوبة ، وهما على الانفراد في نعتيهما كالتضاديين . لذلك كان اجتماعهما في نظم القرآن فضيلة خص

بها؛ يسرها اللطيف الخبير لتكون آية بينة لنبيه . وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله ؛ لأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة وأوضاعها . ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع النظم التي بها ائتلافها وارتباطها ببعض .

وإنما صار القرآن معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ . في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني من توحيد وتحليل وتحريم . . . إلخ . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشدّها حتى تنتظم وتتسق . أمر تعجز عنه قوَى البشر .

وعמוד البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به . ومن هنا كاع القوم وجبنوا عن معارضة القرآن لما قد كان يؤودهم ويتصعدهم منه .

ويفند الخطابي بعض ما أورده المعترضون من شبه ضد أسلوب القرآن .

ومن الطرف في رسالة الخطابي ما أورده من تحليل بعض النصوص تحليلًا فنيًا جميلًا ، يكشف فيه عن ذوق وبصر بمواطن الجمال في الكلام ، وقد أثبت في آخر رسالته وجهًا آخر للإعجاز ذهب عنه الناس - كما يقول - وذلك صنيع القرآن بالقلوب ، وتأثيره في النفوس . ويلاحظ. أن هذه هي الفكرة التي دار حولها بحث عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة إذ اعتبر مصدر البلاغة في الكلام تأثيره في النفوس ^(١) .

٢ - الرسالة الثانية :

« النكت في إعجاز القرآن » لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني . وقد اعتمدنا في نشرها على ثلاث مخطوطات هي :

- ١ - مخطوطة بمكتبة بغدادلى وهي بالآستانة . ومنها نسخة مصورة محفوظة بمكتبة بلدية الإسكندرية عن فيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة

(١) شرح هذه الفكرة وناقشها . خلف الله في كتابه (من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقدّه) الفصل الرابع ، القاهرة ١٩٤٧ .

الدول العربية . وكتب على طرتها رقم ٦٢ وعنوانه : « كتاب النكت في إعجاز القرآن . تصنيف الشيخ الإمام أبي الحسن على بن عيسى الرماني رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ » . وذيلت بختام ذكر فيه تاريخ النسخ سنة ٦٥٢ هـ بقلم محمد عبد العزيز الأنصارى . والمخطوطة بخط . نفيس . وأوراقها ٢٢ ورقة ومسطرتها ١٧ سطراً في الصحيفة ويحوى السطر من ١٠ - ١٢ كلمة . ويوجد على بعض الصفحات تصحيحات قليلة بالهامش ، وبعضها أختام الوقف واسم الخزانة وقد جعلنا هذه النسخة الأصل وراجعنا عليه النسختين التاليتين .

(ب) وأما الثانية فهي النسخة الأولى بالخزانة التيمورية بدار الكتب تحت رقم ٢٩٨ تفسير خط . وقد جاء في طرتها بخط . أحمد بن إسماعيل ابن محمد تيمور ما يلي :

« مما استنسخناه ونحن في بيت المقدس من المكتبة البديرية » ، وجاء في سطر آخر : « ويظهر أنه قد سقط . من هذه النسخة الباب العاشر وهو حسن البيان ص ٤٩ » . وذيلت بختام جاء فيه : « تمت هذه الرسالة بقلم الفقير العبد الضعيف محمد أمين بن الشيخ عمر الدنف الأنصارى خادم الحرم الشريف والمسجد والأقصى المنيف غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين . ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٨ هـ » . والمخطوطة بخط . نسخ واضح ، وقد أشرنا إليها بالرمز « ت » .

(ج) أما الثالثة فهي النسخة الثانية بالخزانة التيمورية رقم ٥٣٤ تفسير خط . بخط . حديث سنة ٣١٨ هـ أيضاً بقلم صاحب النسخة الثانية ، وفي نفس الحجم وقد أشرنا إليها بالرمز « ت ٢ » .

والنسختان التيموريتان « ت ١ » ، « ت ٢ » عن أصل واحد هو المخطوط . بالمكتبة البديرية بالقدس ، وهي نسخة برواية القاضي أبي الحسن بن الحسين المتوفى سنة ٤٩٢ هـ ^(١) .

(١) هو قاض فقيه أصله من الموصل ثم جاء إلى مصر ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، =

تحليل الرسالة :

تأخذ الرسالة شكل جواب عن سؤال وجه للمؤلف عن « ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج » وهذا الجواب يتلخص في أن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصرفة ، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجز .

ويوجه المؤلف همه من هذه الجهات السبع إلى البلاغة فيذكر أنها على ثلاث طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ، ومنها ما هو في أدنى طبقة ، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة . وبعد أن يشرح المؤلف كل واحدة من هذه يحصر البلاغة في عشرة أقسام* أو أبواب هي : الإيجاز والتشبيه ، والاستعارة ، والتلازم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة . وحسن البيان .

ثم يستمر فيفسر هذه باباً باباً بتعريف الموضوع ثم بتقسيمه إلى نواحيه مستشهداً لكل ناحية بالآية تلو الآية من القرآن ، ونذكر أن يستشهد ببيت من الشعر أو قول مأثور من النثر إلا ما استلزمته الموازنة بين الآية وما في معناها من كلام العرب .

وبعد أن انتهى من مقصوده - وهو التعريف بأبواب البلاغة العشرة خصص بضع صفحات في آخر كتابه للتعريف بالوجوه الأخرى الستة التي أشار إليها في أول الكتاب ، والتي تؤلف مع البلاغة وجوه الإعجاز في نظره

= سمع عبد الرحمن بن النحاس وأبا سعيد الماليني وانتهى إليه علو الإسناد بمصر، ولقضاء يوماً واستمع ثم اعتزل الناس ، وكان يوصف بدين وعيادة ، وخرج له أبو نصر الشيرازي عشرين جزءاً وسماها ، الخلفيات ، ومن تصانيفه المفتى في الفقه في أربعة أجزاء . ولد سنة ٤٠٥ هـ وعمر طويلاً ثم توفي وعمره ثمان وثمانون عاماً سنة ٤٩٢ هـ ودفن بالقراة بمصر (راجع ابن خلكان ط بحجى الدين ٧/٢ ، وابن العماد ٣ / ٣٩٨) .

* أثبتنا في فصل التعليقات (فصل ٤ : قسم ٣) نبذة عن تطور مصطلحات البلاغة إلى القرن الرابع الهجري الذي ظهر فيه الرماني والخطابي .

وأسلوب المؤلف في معالجة موضوعه علمي منطقي يحتاج في كثير من المواضع إلى الجهد في فهمه وتتبعه ، ويغلب عليه الطابع الكلامي ، والمنزع الاعتزالي في تأويل القرآن .

٣ - الرسالة الثالثة :

« الرسالة الشافية في الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني » .
وقد اعتمدنا في نشرها على مخطوطة مصورة عن الأصل المحفوظ. ضمن مجموعة بدار الكتب ، وتبدأ الصفحة الأولى في الرسالة برقم ١٩٠ في المجموعة وتنتهى برقم ٢٠٨ .

وهي مكتوبة بخط. نسخ واضح مشكول ، به كثير من الأخطاء الإملائية وبعض أخطاء الشكل . وعلى الصفحة الأولى بخط. الناسخ هذه العبارة :
« هذه الرسالة خارجة من كتابة الموسوم بدلائل الإعجاز » . وبمراجعة كتاب الدلائل المطبوع تبين أن هذه الرسالة ليست خارجة منه نصاً . والرسالة تحتوى على ١٨ ورقة وبضعة أسطر ، من القطع المتوسط . مسطرتها ١٨ سطراً والسطريحتي بين ١٢ - ١٤ كلمة ، بدون تاريخ .

وببعض الصفحات اختتام وقف .

تحليل الرسالة :

تناول عبد القاهر في هذه الرسالة بعض نواح من فكرة الإعجاز ، أخصها إثبات الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن ، وفي هذا يقرر أن العبرة بعجز العرب المعاصرين للرسول عليه السلام دون المتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمانه ، وعلى هذا الأصل ينتقل عبد القاهر إلى النظر في دلائل أحوال العرب وأحوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحدوا إليه .

أما الأحوال فدلائلها من حيث كان المتعارف من عادات الناس ألا يسلموا لخصومهم الفضيلة وهم يجدون سبيلا إلى دفعها ، وعبد القاهر يطيل

في هذه النقطة مستشهداً بالمألف في أحوال الاجتماع ، والمعروف في أحوال الشعراء .

وأما الأقوال فكثيرة يروى منها عبد القاهر حديث ابن المغيرة ، وحديث عتبة بن ربيعة . وحديث أبي ذر . وينتهي من هذا إلى القول بأنه على أساس لالة الأحوال والأقوال وجب القطع بأن القرآن معجز ، ناقض للعادة وأنه في معنى قلب العصا حية وإحياء الموتى في ظهور الحجة على الخلق كافة .

ويتعرض عبد القاهر في سياق الرسالة لنواح في الميدان الأدبي يُبين فيها تفاوت الشعراء في أقدارهم واشتغالهم على البليغ وغير البليغ ، ثم يناقش في نهاية رسالته فكرة الصرفة ويفند رأى القائلين بها . ويدحض بالرسالة فصولاً قصيرة مستقلة يزيد فيها بعض جوانب الموضوع شرحاً ويجيب عن بعض اعتراضات .

وظاهر من نظام هذه الرسالة أن عبد القاهر كتبها ليثبت حقيقة الإعجاز لا ليبين أسرارها . أما تفصيل القول في أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه ، فقد فصل عبد القادر القول فيه في كتابه الكبير المستقل الذي سماه « دلائل الإعجاز » وهو كتاب مطبوع معروف . وقد أثبتنا منه في نهاية التعليقات * القدر الضروري لبيان وجهة نظر عبد القاهر في الإعجاز البلاغي لتتم الفائدة وتكمل الفكرة .

الاسكندرية في ١٣٧٦هـ
محمد خلف الله محمد زغلول سلام
١٩٥٦م